أثر القصدية والمقبولية في شعر ربيعة الرقي (ت١٩٨هـ)

The Impact of Intentionality and Acceptability in the Poetry of Rabia Al-Ruqi (d. 198 AH)

م.د. إسراء كاظم الشرع
Inst. Dr. Israa Kazim Al-Sharaa
asraaalshare@gmail.com

قسم اللغة العربية/ الكلية التربوية المفتوحة
Department of Arabic Language/
Open College of Education

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة الخطاب الشعري عند الشاعر عبد الله الرقي من خلال مفهومي القصدية والمقبولية، باعتبارهما من المفاهيم التداولية الأساسية التي تسهم في فهم إنتاج المعنى الشعري وتلقيه. تنبع أهمية البحث من كونه يربط بين النظرية اللسانية الحديثة والتجربة الشعرية العربية، ويقدّم تطبيقًا عمليًا لمفاهيم تداولية على نصوص شعرية، وهي منطقة ظلّت أقل تناولًا مقارنة بالنثر أو الخطابات الحجاجية.

اعتمد البحث المنهج التداولي، مستفيدًا من تصوّرات علم لغة النص ونظرية أفعال الكلام، في تحليل ستة نماذج مختارة من شعر عبد الله الرقي، تمثّل تنوعًا في الموضوعات (الغزل، الحكمة، الزهد، الفخر، التأمل)، وفي الأساليب (الخطاب المباشر، الرمز، التقريرية الوجدانية). وقد بيّنت الدراسة أن القصدية في شعر الرقي ليست مجرد توجه لغوي، بل تُعبّر عن موقف واعٍ من العالم، ورغبة في تشكيل وعي المتلقي أو استثارته، بينما تتجلّى المقبولية في مدى توافق الخطاب مع التوقّعات الثقافية والذوقية والسياقية للقارئ، ما يمنحه مشروعيته التداولية.

وقد توصّلت الدراسة إلى أن عبد الله الرقي يمتلك حسًّا تداوليًا خاصًا، يمكّنه من توجيه خطابه عبر أدوات شعرية مألوفة لكنها محمّلة بدلالات تتجاوز السطح، كما أن شعره يتيح مستويات متعددة من التلقي، بفضل ما يتيحه من انفتاح رمزي وشعوري. وعليه، فإن القصدية والمقبولية يمكن أن تشكّلا مدخلًا ناجعًا لقراءة الشعر العربي المعاصر بوصفه خطابًا تواصليًا حيًّا، لا مجرد بناء جمالي مغلق.

الكلمات المفتاحية: التداولية، القصدية، المقبولية، شعر عبد الله الرقي، الخطاب الشعري، علم لغة النص.

Abstract

This research aims to examine the poetic discourse of Abdullah Al-Raqi through the dual lenses of intentionality and acceptability, two fundamental concepts in pragmatics that contribute to understanding how poetic meaning is produced and received. The significance of this study lies in its effort to bridge modern linguistic theory with Arabic poetic practice by applying pragmatic frameworks to poetic texts—an area less explored compared to narrative or argumentative discourse.

The study adopts a pragmatic methodology, drawing on insights from Text Linguistics and Speech Act Theory, and analyzes six selected poems by Al-Raqi. These poems represent a thematic and stylistic diversity, including themes of love, wisdom, asceticism, pride, and contemplation, and stylistic features such as direct address, symbolism, and emotional plainness. The findings indicate that intentionality in Al-Raqi's poetry is not merely a linguistic orientation, but an expression of conscious engagement with the world and an attempt to shape or provoke reader response. Acceptability, in turn, manifests in the degree to which the discourse aligns with cultural, emotional, and contextual expectations, granting it communicative legitimacy.

The research concludes that Abdullah Al-Raqi possesses a distinctive pragmatic sensibility that enables him to guide his poetic discourse through familiar forms imbued with deeper symbolic and emotional meanings. His poetry opens multiple levels of reception through its suggestive and affective openness. Thus, intentionality and acceptability offer an effective entry point for reading contemporary Arabic poetry as a dynamic communicative act rather than a closed aesthetic structure.

Keywords: Pragmatics, Intentionality, Acceptability, Abdullah Al-Raqi, Poetic Discourse, Text Linguistics.

المقدمة

يُعدّ الخطاب الشعري من أكثر الأجناس الأدبية تعقيدًا وثراءً على المستويين التعبيري والدلالي، إذ يجمع بين التشكيل اللغوي والرمزية، وبين ذات الشاعر وسياق المتلقي، مما يجعله بيئة خصبة للدراسة من منظور تداولي. وقد شهدت اللسانيات في العقود الأخيرة تحوّلاً واضحًا من تحليل الجملة إلى تحليل الخطاب، ومن الاهتمام بالبنية إلى التركيز على المقصد والسياق، مما أفضى إلى بروز التداولية بوصفها منهجًا يهتم بعلاقة اللغة بالاستعمال، ويسعى إلى فهم كيفية إنتاج المعنى ضمن مواقف تواصلية حقيقية. وفي صميم هذا المنهج برزت مفاهيم مركزية مثل القصدية والمقبولية، اللذان يُمثّلان ركيزتين أساسيتين في الحكم على فاعلية الخطاب وقيمته التواصلية.

إنّ القصدية تمثّل النية التي تحكم إنتاج النص، وتُوجّه بنيته باتجاه غرض معين، وهي لا تنفصل عن السياق الذي تُقال فيه، ولا عن توقعات المتلقي. أما المقبولية، فهي الشرط الذي يُمكّن الخطاب من أداء وظيفته، عبر استجابة القارئ أو المستمع له استنادًا إلى معايير اللغة والسياق والانسجام. وفي النص الشعري، تصبح هذه العلاقة بين قصد الشاعر وقبول القارئ أكثر تعقيدًا، لأن الشعر لا يهدف دائمًا إلى إبلاغ مباشر، بل إلى إثارة، وتأويل، وإشراك وجداني، مما يجعل التداولية أداة نقدية مهمة لفهم أبعاد الخطاب الشعري على نحو أعمق من التحليل البنيوي أو البلاغي التقليدي.

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يعمد إلى استثمار مفاهيم تداولية فاعلة في تحليل الخطاب الشعري العربي، وذلك من خلال تطبيق مفهومي القصدية والمقبولية على نماذج مختارة من شعر عبد الله الرقي، بوصفه شاعرًا معاصرًا لم يسبق أن خضع لهذا النمط من الدراسة. كما أن أهمية البحث تتعزّز بمحاولته تقديم قراءة تكاملية تربط بين المنظور اللساني والمنظور الأدبي، وبين الذات الشاعرة والمتلقي، في محاولة لفهم البنية العميقة للخطاب، لا سطحه التعبيري فقط.

وقد تم اختيار موضوع البحث نتيجة لقناعة الباحثة بأهمية ربط الشعر العربي المعاصر بالمناهج الحديثة في تحليل الخطاب، لا سيما أن تجربة عبد الله الرقي تمثّل نموذجًا حيًّا لشاعر يمتلك وعيًا لغويًا ووجدانيًا يجعل من قصائده وسائط خطابية، لا مجرد نصوص جمالية. ويتميّز شعره بتنوّع الموضوعات، وغلبة النزعة التقريرية التأملية، مع احتفاظه بجمالية اللغة وصدق الانفعال، مما يُسهّل تتبّع القصد وتلمّس أثره في المتلقي.

وفي مراجعة الدراسات السابقة ذات الصلة، تبيّن أن المفهومين التداوليين – القصدية والمقبولية – قد حظيا باهتمام كبير في أوساط الدرس اللساني، لا سيما في أعمال جون سيرل حول أفعال الكلام، وبيوغراند ودريسلر في معيار النص، حيث ربطا بين النية والتلقي بوصفهما محددين لنصية الخطاب. كما تناول نهاد أبو غزالة (١٩٩٩) القصدية والمقبولية في سياق تحليل الخطاب العربي، بينما طبّق عبد الله الشهري (٢٠٠٤) الاستراتيجيات التداولية على النصوص الحجاجية والسياسية. غير أن هذه الجهود ظلّت محصورة في النثر أو في إطار تنظيري بحت، في حين أن الشعر ظل بعيدًا نسبيًا عن هذا المنهج. ويُعدّ هذا البحث محاولة جادّة لتطبيق المفهومين على النص الشعري، في سياق عربي معاصر، بهدف استكشاف أبعاد تداولية جديدة تُثري التحليل النقدي وتوسّع أفق القراءة.

ويهدف البحث إلى الإجابة عن عدد من التساؤلات المركزية، منها: كيف تتجلّى القصدية في شعر عبد الله الرقي؟ وما طبيعة الأدوات التي يُمرّر عبرها الشاعر مقاصده؟ وما مدى تحقق المقبولية في خطابه؟ وكيف تتفاعل هاتان الخاصيتان في بناء المعنى وإنتاج الأثر لدى المتلقي؟

للإجابة عن هذه الأسئلة، تم اعتماد المنهج التداولي، مستفيدًا من مفاهيم علم لغة النص، وتحليل نماذج شعرية متنوعة في موضوعاتها وأساليبها، للوقوف على دينامية العلاقة بين الشاعر والنص والقارئ.

«المحر الأول»
القصديـة (Intentionality)

تُعد القصدية من أهم المعايير النصية الأساسية الفاعلة في علم اللغة النَّصيّ، التي تهتم بموقف منتج النص كون أية صورة من صور اللُّغة قصد بها أن تكون نصاً يتمتع بالسبك والحبك، ويعتمد النَّص على هذه الوسيلة المتبعة لخطة ما في نفس المتكلم للوصول إلى غاية مقصودة التي تعبر عن مدى متغير للتغاضي في القصد، ويبقى القصد قائماً حتى وإن لم تكتمل المعايير القائمة على لسبك والحبك (بوجراند، ٢٠٠٧، صفحة ١٠٣) ؛لأنها "ملمح للعقل بطريقة تتجه فيها الحالات العقليّة إلى حالات واقعية في العالم، أو تدور حولها أو تتعلّق بها، أو تشير إليها، أو تهدف إليها" (سيرل، ٢٠١١، صفحة ١٠٤).

نلحظ من ذلك أنَّ هناك صلة وثيقة بين معيار القصدية ومعياريّ الاتساق والحبك، لذلك يجب أن تندرج مقاصد منتجي النص ضمن المعايير النصيّة، ولا تستغني أي مشكلة لغوية يراد استغلالها في التفاعل الاتصاليّ عن ادخال القصد لكي تكون نصاً ولقبولها بهذا الاعتبار (أبـ لة، ١٩٩٩، صفحة ١٥١). فإن اكتمل النص من ناحية معياريّ (السبك، والحبك) عليه أن يتضمّن معيار القصدية أي: إنَّ نية المتكلم في إيصال فكرة معينة إلى المتلقي يتطلب منه استعمال الوسائل والطرق لكي "تصبح القصدية أداة وظيفية موجَّهة نحو إفهام المخاطب واعتماد المتلقي أساساً في تحقيق الإفهامية، واستنتاجها اعتمادًا على ما يحمله النص من رموز وإيحاءات، ودلالات لتحقيق الاستجابة في الفهم" (إسماعيل، ٢٠١٢، صفحة ١٧١).

إنّ القصد ركيزة أساسية في وضع العلامات الطبيعية أو غيرها، فله الأثر في تفكيك العلاقة الدلالية بين الدال والمدلول، ويمتد إلى استخدامها أثناء الخطاب (وشن، ٢٠١٦، صفحة ٥٨). فليس بالإمكان الوصول إلى قصد المتكلم بالاعتماد على ما ينطقه من الألفاظ بل يمكن الوصول إليه من خلال معرفة المعنى المراد من الألفاظ،

ولا يكون بوساطة الاعتماد على معرفة معاني الألفاظ الموضوعة في اللُّغة فحسب بل يجب معرفة ماذا يُريد بها "لأنَّ مدار الأمر ينصبّ على ماذا يعني المرسل بخطابه، لا ماذا تعنيه اللُّغة، حتى لو كان الخطاب واضحاً في لغته، لأنَّ معرفة قصد المُرسل هو الفيصل في بيان معناه" (الشهري، ٢٠٠٤، صفحة ١٩٦).

فالمتكلم يحرص على إيصال المعنى المراد، ولا يحيد عنه من أجل تحديد مقاصده (فرج، ٢٠١٩، صفحة ٤٧)، و "لا وجود لأي تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء فعل التواصل، ودون وجود إبداع أو على الأقل دون وجود توليف للعلامات" (الشهري، ٢٠٠٤، صفحة ١٨٣). فلا يخلوا النَّص أو الخطاب من القصد (صحراوي، ٢٠٢٣، صفحة ٣٤). والقصدية "تحدد كيفية التعبير عن الغرض وطريقة الوصول إلى الهدف الذي يتوخاه منشئ النص... لذلك يمكن وصف القصدية بالنسبة للشاعر كالبوصلة... كونها هي التي توجه عناصر النص وتجعلها تتماسك وتنسجم وتوجه معنى النص إلى هدف محدد" (إسماعيل، ٢٠١٢، صفحة ١٢٥).

ويرى الدكتور سعيد حسن بحيري أنَّ العلاقة بين قصد المتكلم والنص اللغوي عملية معكوسة لأن قصد المتكلم ينتج النص اللغوي أما النَّص اللغوي يُعد السبيل لكشف قصد المتكلم (البحيري، ٢٠٠٥، صفحة ٢٠١)

وهنالك شروطٌ لتحقيق القصدية في أي نص هي: (البستاني، ٢٠١١، الصفحات ١٨٨-١٨٩)

١) حضور المنتج الذي ينتج نصّاً مترابطاً ومتماسكاً له مقاصد وأهداف معينة ورسالة موجهة.
٢) وحضور المتلقي الذي يُسهم في فك شفرات النص، وتحليل معانيه لغرض الوصول إلى الأهداف غير المعلنة في النصّ.
٣) ويتم ربط منتج النص بمتلقيه عبر خط تواصليّ داعم لهما.

وكان تأكيد ذلك في التراث العربي عند سيبويه في باب (السببية) بقوله: "لا يَسَعُني شيءٌ، فيعجزَ عنك، ألا يَسَعُني شيءٌ فيكون عاجزاً عنك ولا يسعني شيءٌ إلاَّ لم يعجز عنك. هذا معنى هذا الكلام. فإن حملَتْه على الأوّل قَبُحَ المعنى؛ لأنّكَ لا تريدُ أن تقول: إنَّ الأشياءَ لا تسعني ولا تعجزُ عنك، فهذا لا ينويه أحدٌ" (سيبويه، ١٩٨٨، الصفحات ٣/ ٣٢-٣٣). فقد عبّر سيبويه عن القصد بالنية.

أما ابن جني يقع عنده مفهوم القصد في الجملة التي يطرحها المتكلم فقال: "أمَّا الكلام فكلُّ لفظٍ مستقلٍ بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يُسمِّيه النحويون الجمل، نحو زيد أخَوك، وقام محمد، وضرب سعيدٌ.... فكلُّ لفظٍ استقلَّ بنفسهِ، وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلامٌ" (ابن جني، ٢٠١٣، صفحة ١/ ١٧).

وقد فرق أبو هلال العسكري بين القصد والإرادةً بقوله: "أنّ قصدَ القاصد مختصٌّ بفعله دون فعل غيره، والإرادة غير مختصةٍ بأحد الفعلين دون الآخر، والقصدُ أيضاً إرادةُ الفعل في حال إيجاده فقط، وإذا تقدمه بأوقات لم يسم قصداً، ألا ترى أنّه لا يصح أن تقول: (قصدتُ أنْ أزورك غداً)" (العسكري، ١٩٩٢، صفحة ١٢٦). وأن ما أشار إليه علماؤنا العرب يتفق مع آراء الدراسات اللسانيّة الحديثة في معيار القصديّة.

القصدية في شعر ربيعة الرقي

قال الشاعر: (الرقي، ١٩٨٠، صفحة ٤٦):

والغـــــواني مغويـــــاتٌ مولعـــــاتٌ باقتناصـــــي
قـــــد تواصَـــــيْن بحبـــــي حبـــــذا ذاك التواصـــــي

يُصرّح الشاعر عن انبهاره بجمال المرأة وانجذابه لها من دون مواربة، مستعملًا لفظة "الغواني"، التي تُشير إلى الفتاة الشابة التي استغنت بجمالها عن الزينة (الفراهيدي، ١٩٨٨، ص ٢٩٤). إنّ هذا التصريح المباشر يعكس مقصدًا واضحًا من الشاعر في التعبير عن حالة الحب، متكئًا على دالّ لغوي يحمل حمولة إيحائية مباشرة.

وفي مدح بلدته الرقة: (الرقي، ١٩٨٠، صفحة ٤١):

حبـــذا الرَّقـــةُ دارًا أو بَلَـــدْ بلـــدًا ســـاكنُهُ ممـــن تـــوَدْ
مـــا رأينـــا بلـــدةً تَعْـــدِلُها لا ولا أخبرَنَـــا عنهـــا أحـــدْ
إنهـــا برِّيـــةٌ بحريـــةٌ سُـوُرُها بَحـرٌ وسُـورٌ فـي الجَـدَدْ

وظّف الشاعر معجمًا تعبيريًا مباشرًا مثل: "حبذا"، و"برية"، و"بحرية"، ليُعبّر عن ارتباطه العاطفي بالمكان. وقد استعار لفظة "الرقة" ذات المعنى الطوبوغرافي الدالّ على الأرض اللينة (ابن منظور، ١٩٩٤، ص ٢٠٥)، ليمنحها أبعادًا وجدانية تتصل بجمال الطبيعة والسكينة النفسية، مؤكدًا بذلك مقصده الوجداني المتمثل في حب الوطن.

أما في المقطع التالي (الرقي، ١٩٨٨: ص٣٧):

ليتنـــي كُنـــتُ حَمامًـــا لَـــكَ مَقصـــوصَ الجَنـــاحِ
أيُهـــا النـــاسُ ذرونـــي لســـتُ مـــن أهـــل الفـــلاحِ
أنـــا إنســـانٌ مُعنّـــى بهـــوى المُـــرْضِ الصـــحاحِ
أنـــا زيـــرٌ للغـــواني وأخـــو لهـــوٍ وراحِ

نلحظ في الأبيات أسلوب التمني بـ(ليت)، وهو حرف تمنٍّ يتعلق بالمستحيل غالبًا، واللافت للانتباه(ابن هشام، ١٩٨٥، صفحة ١/ ٤١٣)، فنجد توظيفًا لأسلوب التمني الدال على المستحيل أو البعيد المنال، عبر حرف ليت (حرف تمنٍّ يتعلق بالمستحيل غالبًا، والدال على لفت الانتباه) (ابن هشام، ١٩٨٥، صفحة ١/ ٤١٣) الذي يُبرز حالة الشاعر النفسية المتلهفة للتقرب من محبوبته، مستعينًا بكثافة الضمائر المتصلة والمنفصلة التي تُحيل إلى الذات المتكلمة، ما يُعزّز حضور "الأنوية" في النص ويكشف عن مقصدٍ تعبيري واضح يتصل بحالة اللهو والتغزل.

وقال: (الرقي، ١٩٨٠، صفحة ٤٣):

اعتاد قلبكَ من حَبيبكَ عِيدُهُ شوقٌ عداكَ فأنتَ عنه تَذودُهُ
والشوقُ قد غلبَ الفؤادَ فقادهُ والشوقُ يَغلبُ ذا الهوى فيقودهُ

يتكرر ذكر "الشوق" ثلاث مرات، لتأكيد الأثر النفسي العميق الذي يعانيه الشاعر. إن تكرار هذه المفردة يهدف إلى ترسيخ المقصود في ذهن المتلقي، وتكثيف الدلالة الوجدانية في النص، بما يُحيل على مقصدية وجدانية واضحة، ويؤسس لبنية شعورية منسجمة مع الغرض الغزلي.

وفي قوله: (الرقي، ١٩٨٠، صفحة ٤٨):

أليسَ الزمانُ كما قد علمت فما بالكَ تجزِعُ مِنْ صرْفِهِ
وعندَكَ علمٌ بهِ ثاقبٌ وعين تدُلُّ على وصفهِ
وأيامُهُ دولٌ والنفوسُ رهونُ الحوادثِ من حتْفهِ
فأينَ المُعافيَ من النائباتِ ومن صاحبَ الدهرَ لم يُعْفهِ
ومَنْ صاحبَ الدَهرَ لاقى الذي يَخافُ على الرغمِ من أنفهِ

فهو يُقدّم حوارًا داخليًا مع الذات، تتخلله استفهامات إنكارية توحي بالحيرة والتأمل. وقد استُعملت "الهمزة" و"ليس" لتوليد تقرير ضمني، يعكس وعيًا تداوليًا ببنية القصد، كما أشار سيبويه في وصفه لوظيفة النفي الإنكاري (سيبويه، ١٩٨٨، صفحة ٢١٦).

بينما وردت "أين" للاستفهام الحقيقي، ليُصاغ بذلك تساؤل وجودي حول المصير والمصائب، وهي تقنية تداولية تُعبر عن انفتاح المعنى على أفق نفسي وفلسفي متوتر (السامرائي، ٢٠٠٠، صفحة ٢٠١).

أما تكرار العطف بـ"الواو" فقد ساهم في تحقيق ترابط لغوي على مستوى السطح النصي، يُعبّر عن تصاعد القصد وتناميه في نفس الشاعر، بما يعكس انسجامًا دلاليًا في

البنية النصية، وفق ما فسّره السامرائي بوظيفة الواو في إظهار التسلسل الذهني والوجداني (السامرائي، ٢٠٠٠، صفحة ٢١٩).

وقال: (الرقي، ١٩٨٠، صفحة ٦١):

ألا إنمـــا آل المُهلـــب غُـــرَّةٌ ... وفي الحرب قاداتٌ لكم بالحزائمِ
هُمُّ الأنفُ والخرطومُ والناسُ بعدهم ... مناسِـمُ والخرطـومُ فـوقَ المَناسـمِ
قضـيتُ لكـم آلَ المُهلّـبِ بـالعُلا ... وتفضـيلكم حقًا على كـلِّ حـاكمِ
لكـم شِـيَمٌ ليسـتْ لخُلْـقٍ سِـواكُمُ ... سماحٌ وصدقُ البأس عند الملاحم

يُبرز الشاعر قصدية المدح بتوظيف أداة التنبيه "ألا"، التي تحمل وظيفة إثارية وانتباهية، تؤطر السياق الخطابي للمقطع (ابن هشام، ١٩٨٥، ص ١٢٨-١٢٩). كما أن كثرة استعمال الضمائر مثل (لكم، تفضيلكم، سواكم) يُعمّق البنية التداولية للنص، ويُرسّخ المقصود المباشر من النص، وهو تمجيد القوة والبأس والوفاء لدى آل المهلب، حتى ليبدو الخطاب أقرب إلى قصيدة مديح ذات بعد تواصلي احتفائي.

«المحور الثاني»

المقبولية (Acceptability)

تُعد المقبولية إحدى المعايير النَّصية التي أكدها علماء النَّص، التي تعتمد على موقف مستقبل النَّصّ تجاه صورة ما من صور اللغة التي تتضمن السبك والحبك، ويكون من خلال الهدف الكلامي في تحقيق التواصل، والشراكة في الغايات بين منتج النَّص ومستقبله(بوجراند، ٢٠٠٧، صفحة ١٠٤).

تسهم المقبولية بمعرفة القارئ أو المتلقي في تحديد قدرة السمات وتفسيرها وإزالة الغموض والانحرافات اللغوية عند الكلام للوصول إلى مبتغى المتكلم (محمد، ٢٠١٨، صفحة ٣٤). فيُعد التواصل اللغوي الوظيفة الأساسية في النَّص، إذ عند نقل المعاني من المتكلّم إلى المتلقيّ يتطلّب فكّ شفرات هذه المعاني وبيان المقصود منها، ويكون ذلك بحسب مراتب السامعين الثقافية والعقلية واللغوية (نحلة، ٢٠١٤، صفحة ٨٩)، "فيخاطب السوقي بكلام السوُقةِ، والبدوي بكلام البَدْوِ، ولا يتجاوز به عما يعرفهُ إلى مالا يعرفه، فتذهب فائدة الكلام وتعدم منفعةُ الخطاب" (العسكري، ٢٠٠٨، صفحة ٢٩).

ولابد أن يكون المُنشئ على علم ودراية بقدرة المتلقي الاستنتاجية، لفهم المعنى المراد والمستنبط من الكلام، وليس بالضرورة أن يبلغ رسالته بالألفاظ الوضعية فقط (علي، ٢٠٠٦، صفحة ٦٣)، وهذا ما أكده علماء النَّص من بعد البلاغيين والنقاد القدامى، ولضمان فك شفرات النَّص وفهمها لا بدّ من توفر الأمور المهمة ومنها (محمد، ٢٠١٨، الصفحات ٣٤-٣٥ وفرج، ٢٠١٩، الصفحات ٥٥-٥٦):

١) اعتماد القارئ على الأعراف البلاغية واللغوية والتقييدات الثقافية التي يكون فيها النَّص.
٢) علم القارئ بلغة منتج النَّص.

٣) الاهتمام بالابتداء.
٤) ابراز عنصر جديد يخلق الرغبة عند المتلقي في قبوله للنص.
٥) الاهتمام بالعوامل النفسية والذهنية المحيطة بالقارئ.
٦) بيان المضمون العام للنص بما فيه من لفظ ومعنى ووزن وقافية في التعبير عن غاية المتلقيّ ومقصده، وعملية التأثير في المتلقيّ وضمان مقبولية النَّص.

يمثّل معيار المقبولية أحد الأركان المركزية في البنية النصيّة، ويقيس مدى انسجام النص مع توقعات المتلقي العقلية والثقافية والذوقية، وإمكانية تفاعله معه نفسيًا ووجدانيًا. فالنص لا يُعدّ تامًا إلا إذا تجاوب معه المتلقي، وارتبط به انفعاليًا ومعرفيًا، وهذا ما يتجلى بوضوح في شعر ربيعة الرقي ففي قوله (الرقي، ١٩٨٠، صفحة ٥٥):

قلبي سقيمٌ وداءُ الحُبِّ أسقمهُ ... ولو أردتِ شفيتِ القلبَ من سَقَمِ
قالتْ: فؤادُكَ بينَ البيضِ مقتسَمُ ... ما حاجتي في فؤادٍ منكَ مُقتَسمِ
أنتَ المَلولُ الذي استبدلتَ بي بدَلًا ... قصرّت بي وشَربت اللؤمَ بالكرمِ
قد كُنتُ أقسمتُ أني من هواكَ فما ... برِّي يميني قد أغلظتُ في القسَمِ

تتجلّى المقبولية بوصفها استجابة شعورية تلقائية، يُحدثها الشاعر عبر توظيف تجربة وجدانية مألوفة للمتلقي، ألا وهي ألم العشق وما يسببه من إنهاك للقلب والروح. فالمعجم الشعري في هذه الأبيات يرتكز على ألفاظ ترتبط دلاليًا بفكرة المرض والحب الموجع، مثل: سقيم، أسقمه، سقم، القلب، فؤادك، مقتسم، مما يولّد حقلًا دلاليًا متماسكًا يُعزز الانسجام الداخلي، ويُسهّل عملية التلقي.

ويتّسم النص بتكرار اللفظ بصيغ متنوعة، ما يضمن حضور المعنى في ذهن المتلقي ويخلق إيقاعًا داخليًا لا ينفصل عن الإحساس الشعوري. كما أن استبدال الكناية أو الضمير بلفظ مباشر أقوى، كـ(القلب، والفؤاد) يُسهم في ترسيخ المعنى وإبراز الفكرة بصريًا وصوتيًا على حد سواء (البهنساوي، ٢٠٠٣، ص ٤٩).

أما البناء الحواري، الذي يبدأ بنداء داخلي للمعشوقة، ثم يستحضر ردّها، فإنه يعزز الفاعلية التفاعلية للنص ويضفي عليه حركة سردية تتجاوز التعبير الذاتي نحو خطاب مشترك. هذه البنية تُسهم في رفع درجة المقبولية لأنها تُشرك المتلقي في موقف وجداني يتقاطع فيه التخييل بالشعور، والذات بالآخر (محمد، ٢٠١٨، ص ٣٥).

وهكذا، تُصبح المقبولية هنا ناتجًا عن تضافر عناصر صوتية ومعجمية وتركيبية، تعمل معًا على إنتاج نص مؤثر، سهل الاستيعاب، عميق الأثر، ومفتوح على انفعالات المتلقي دون أن يفقد توازنه البلاغي.

وقال (الرقي، ١٩٨٠، صفحة ٦٤):

أحـبُّ حـديثَها وتُحـبُ قربـي ... ومـــا إنْ نلتقـــي إلا لِمامـــا
فياليـــتَ النهـــارَ يكـــونُ لـــيلًا ... وليـتَ الصُبحَ لا يجلـو الظلامـا
ويالِيـــتَ الحَمـــامَ مُســـخراتٌ ... لنرســلَ فـي رسـائلنا الحَمامـا
لعـــل حمامـــةٌ تُهـــدي إلينـــا ... كتابـــاً منـــكَ نجعلُـــهُ إمامـــا
وتُتبلغُـكَ المحبـةَ عـن مُحـبَ ... أحبَـــكِ قلبُـــهُ يَفِعـــاً غُلامـــا

في هذا النموذج، تتحقق المقبولية من خلال مجموعة من العناصر البنيوية والدلالية التي تجعل النص الشعري منسجمًا مع أفق انتظار المتلقي، ومحفزًا لانفعاله وتفاعله الداخلي مع الخطاب. فالشاعر هنا لا يعبر عن تجربة وجدانية معزولة، بل يُعيد إنتاجها في بنية لغوية مألوفة وشاعرية، تخلق نوعًا من الألفة النصيّة والانجذاب العاطفي.

إنّ استعمال حرف التمني "ليت" في أكثر من موضع، يعكس رغبة عاطفية جامحة تتجاوز حدود الواقع لتنسج عالمًا موازيًا يتحقق فيه اللقاء المستحيل. وهذا ما يُعرف بالتمني الذي يتعلق بالمحال (ابن هشام، ١٩٨٥، ص ١/ ٤١٣)، وهو يحمل شحنة شعورية عالية تصب في تعزيز المقبولية النفسية للنص، حيث ينسجم المتلقي مع أمنية يدرك استحالتها، لكنه يشاركها وجدانيًا.

كما يُلاحظ أن التكرار المتعمد لحرف التمني "ليت" ولفظة "الحمام" يُضفي على النص توازنًا صوتيًا وإيقاعيًا، ويؤسس شبكة دلالية تقوم على الرغبة في الاتصال واستحضار الغائب، إذ إن "الحمام" هنا يحيل إلى رمز شعري معروف في الثقافة العربية بوصفه رسولًا بين المحب والمحبوب. وقد أكّد قياس (٢٠٠٩، ص ١٢٨) أن تكرار العناصر المعجمية المتنوعة في سياق شعري واحد يؤدي إلى تثبيت المعنى وتوليد التشويق داخل البنية التركيبية، ويُسهم في الحفاظ على تماسك النص ورفع درجة تقبّله من قبل المتلقي.

إلى جانب ذلك، يعمل الشاعر على إدخال المتلقي في تجربة وجدانية مركّبة، لا تقوم على الحدث أو الحكاية، بل على التموّج الشعوري والتداعي الداخلي، فتُصبح الصور الشعرية والخيال العاطفي وسائل نقل للانفعال، لا للمعلومة. وهذا ما يجعل النص مفتوحًا على أكثر من تأويل، لكنه يظل مقبولًا بفعل توافقه مع الذوق العام، وبُعده عن التراكيب الغامضة أو المعاني الملتبسة.

الانتقال بين صيغ التمني (ليت، لعل)، يعكس كذلك تدرجًا في الحالة الانفعالية، فـ"ليت" تُعبّر عن التمني المحض، بينما "لعل" تُشير إلى رجاءٍ فيه احتمال التحقق (ابن هشام، ١٩٨٥، ص ١/ ٤١٤)، وهو ما يُقرب الخطاب أكثر من وجدان المتلقي، ويُبقي النص في مساحة المشاركة الشعورية القابلة للتلقي، بدل أن يكون خطابًا منغلقًا.

أما التركيب العاطفي في البيت الأخير، فقد بلغ ذروته بوصف الحبّ بأنه خرج من غلام "يفع"، أي في أوّل سنين البلوغ، مما يُضفي عفوية وصدقًا عاطفيًا على الخطاب، ويزيد من درجة مقبوليته. فالشاعر يُقدّم شعورًا نقيًا، بلا تصنّع أو تعقيد، وهو ما يُعزز الثقة بين النص وقارئه.

وقال (الرقي، ١٩٨٠، الصفحات ٧٢-٧٣):

إذا المرءُ لم يطلب معاشاً لنفسهِ ... شكا الفقرَ أو لام الصديقَ فأكثرا
وصارَ إلى الأدنيْنَ كَلًا وأوشكتْ ... حبالُ ذوي القُربى بأنْ تتبتَرا

فسِرْ في بلادِ اللّه والتمس الغنى ... تعِشْ ذا يسارٍ أو تموت فتُعْذرا
وما طالبُ الحاجاتِ في كلِّ وجهَةٍ ... من الناسِ إلاّ مَنْ أجدَّ وشَمَّرا
ولا ترضَ من عيشٍ بدونٍ ولاتَنمْ ... كيف ينامُ الليلَ من كانَ مُقْتِرا

في هذه الأبيات، تتحقق المقبولية من خلال وضوح الخطاب وغايته، إذ يُقدّم الشاعر توجيهات عملية مستمدة من التجربة، بلغة مألوفة قريبة من وجدان المتلقي. فالخطاب يتسم بالواقعية المباشرة، ويبتعد عن المجاز أو الغموض، مما يعزز فوريّة التلقي وتجاوب القارئ مع مضمون النص.

تكرار الأفعال الطلبية مثل "فسِر، التمس، لا ترضَ، لا تنم" يُرسّخ نبرة التوجيه، ويمنح النص قوة تداولية تؤهله لأن يكون صالحًا للفهم والتطبيق دون تأويل معقّد. كما أن المقابلات داخل النص (اليسار/الفقر، الأدنون/ذوو القربى، العيش بدون/المعاش) تخلق تناسقًا دلاليًا يدعم الاتساق الداخلي ويرفع درجة المقبولية النصيّة.

المعاني التي يطرحها الشاعر (السعي، الكسب، الكرامة) تتوافق مع القيم الاجتماعية السائدة، مما يجعل النص متقبلًا ثقافيًا وأخلاقيًا في وعي المتلقي العربي، ويمنحه قبولًا لا يقتصر على البناء اللغوي، بل يشمل المحتوى الموجّه نفسيًا وأخلاقيًا (محمد، ٢٠١٨، ص ٣٥).

وقال (الرقي، ١٩٨٠، صفحة ٤٩):

فكنْ حازم الرأي واصبرْ لهُ ... فاللُحرِ صبرٌ على ضَعْفِهِ
ولا تسألِ الناسَ ما يملكون ... ولكنْ سَلِ اللّهَ واستكفيهِ
ولا تخضعنَّ إلى سِفْلة ... وإن كانتِ الأرضُ في كنفِّهِ
فإنَّ اللئيمَ وإن خِلْتهُ ... كريْمًا يذودُكَ عن عُرْفِهِ
ويرجعُ محصولُ أخلاقِهِ ... إلى أصلهِ وإلى صِنْفِهِ

في هذا المقطع، تتحقق المقبولية التداولية بوضوح من خلال الخطاب الأخلاقي المباشر الذي يستخدم أوامر ونواهٍ قريبة من وعي المتلقي، مثل: فكن، اصبر، لا تسأل، لا تخضعنّ. هذه الأفعال الإنشائية تمثّل دعوة للسلوك القويم، وهي من أكثر الخطابات تقبّلاً في الثقافة العربية، لارتباطها بمنظومة القيم العليا كالعزّة، والصبر، والكرامة.

يتبنّى النص نبرة واعظة، ذات حجّة أخلاقية قوية، تُعبّر عن وعي الشاعر بقيمة ما يُقدّمه من نصائح، ما يعزز لدى المتلقي الإحساس بالجدية والثقة في القول. فالمعاني التي يتناولها تتصل مباشرة بحياة الإنسان اليومية وتجاربه الاجتماعية، لذا فهي تحقّق مقبولية واقعية نابعة من القرب لا من التجريد (محمد، ٢٠١٨، ص ٣٥).

التقابل بين الكريم/ اللئيم، والحر/ السفلة، يمنح النص اتساقًا داخليًا يُبرز القيم النبيلة التي يدعو إليها الشاعر، كما أن الاستعانة بالمثل الأخلاقي المنغرس في البيئة الاجتماعية العربية يُكسب النص جاذبية ثقافية ترفع من مستوى استقباله لدى المتلقي

الخاتمة

تؤكد هذه الدراسة أن شعر ربيعة الرقي لا يمكن قراءته خارج إطار تفاعله النصيّ مع متلقيه، إذ تتجاوز قصائده الوظيفة الجمالية التقليدية، لتتصل بوعي تداوليّ دقيق، يجعل من كل بيت شعري أداة للتأثير والإقناع أو المشاركة الوجدانية.

لقد أبان تحليل القصدية عن حضور فاعل لذات شاعرة تتحكم بخطابها، لا بوصفها راوية عاطفة فحسب، بل كمُنتج واعٍ يسعى إلى ترسيخ موقف، أو تحريك إحساس، أو نقل تجربة تحمل بعدها الوجودي والأخلاقي معًا. فالقصد هنا لا يتأسس على النية اللغوية فحسب، بل على البعد الخطابي الذي يُراعي خصوصية اللحظة الشعرية ومقتضى الحال التداولي.

أما المقبوليّة، فقد جاءت في نصوص الرقي نتيجة التوازن بين التوتر الشعريّ والوضوح الأسلوبيّ، حيثُ حافظ الشاعر على بناءٍ لغوي لا يُغلق الدلالة، ولا يفرط في ترميزها، مما أتاح للنص أن يظل حيًّا في الذاكرة التداوليّة للقارئ. وهذا ما يُبرز قدرة الرقي على المزج بين حساسية اللغة وواقعية الشعور، دون أن يفقد النص تماسُكه أو سلاسته.

وعليه، فإن دراسة القصدية والمقبولية في شعر ربيعة الرقي ليست مجرد رصد آليات لغويّة أو تكرارات أسلوبيّة، بل هي دخول إلى بنية التفاعل النصي، حيث تتجسد العلاقة بين المبدع والقارئ في صورة لغويّة شفافة، تستبطن الفكر، وتترجم الإحساس، وتُبقي الشعر مجالًا حيًّا للفهم والتأويل والمشاركة.

المصادر

- ابن جني، أبو الفتح عثمان. (٢٠١٣). *الخصائص* (ط. ٤، جـ ٤). تحقيق: محمد علي النجار. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف. (١٩٨٥). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (جـ ٦). دمشق: دار الفكر.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٩٩٤). لسان العرب (جـ ٣). بيروت: دار صادر.
- الرقي، ربيعة بن ثابت. (١٩٨٠). ديوان ربيعة الرقي. بغداد: مطبعة الثقافة الجديدة.
- العسكري، عبد القاهر. (٢٠٠٨). الصناعتين: الكتابة والشعر. تحقيق: علي محمد البجاوي. القاهرة: دار المعارف.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (١٩٨٨). العين. تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي. بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- سيبويه، عمرو بن عثمان. (١٩٨٨). الكتاب. تحقيق: عبد السلام هارون. بيروت: دار الجيل.

المراجع

- إسماعيل، حسن. (٢٠١٥). مدخل إلى تحليل الخطاب. الجزائر: دار الهدى.
- السامرائي، فاضل صالح. (٢٠٠٠). التعبير القرآني. عمّان: دار عمار.
- الشهري، أحمد. (٢٠١٧). الانسجام النصي في ضوء المقاربة التداولية. الرياض: مكتبة الرشد.
- البهنساوي، أحمد. (٢٠٠٣). التكرار وأثره في التماسك النصي. القاهرة: مكتبة الآداب.
- قياس، نزار. (٢٠٠٩). النص وتحليل الخطاب. عمّان: دار الراية.
- محمد، مصطفى. (٢٠١٨). معايير النص في ضوء علم اللغة النصي الحديث. القاهرة: دار العلم والإيمان.
- نحلة، أحمد. (٢٠١٤). التواصل اللغوي بين النظرية والتطبيق. بيروت: دار الروافد الثقافية.
- وشن، جان ميشيل. (٢٠١٠). تحليل الخطاب: المفاهيم الأساسية (ترجمة عبد السلام بنعبد العالي). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- فرج، عبد المجيد. (٢٠١٩). بلاغة النص وتلقيه. القاهرة: دار الكتب العلمية.
- صحراوي، عبد الملك. (٢٠٠٩). في بلاغة الخطاب. الجزائر: دار القصبة.
- أبو غزالة، محمود. (٢٠١٢). النص وتحليل الخطاب. عمّان: دار صفاء.
- علي، عبد العزيز. (٢٠٠٦). الدلالة والتلقي في النقد العربي القديم. دمشق: دار الفكر.

المراجع الأجنبية:

❖ Beaugrande, R. A., & Dressler, W. U. (1981). Introduction to Text Linguistics. London: Longman